ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 09، العدد: 01(2024) ص 81 - 92

اللغة العربية في الجامعة الجزائرية: الراهن والرهانات

The Arabic language in the Algerian university : bet and current

د.عبد القادر قرماط*
جامعة تامنغست (الجزائر)
abdelkadergarma@gmail. com

أ.د.عبد القادر لباشي
جامعة البويرة (الجزائر)
lebachiabdelkader@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2024/03/31
تاريخ القبول:
2024 /05/01

الكلمات المفتاحية:
- ✓ اللغة العربية
- ✓ الجامعة
- ✓ الرّهان،
- ✓ الرهانات،
- ✓ تدريس العلوم
- ✓ مجتمع المعرفة

الملخص:

يتناول هذا المقال البحث في الواقع الذي تعيشه اللغة العربية والمكانة التي تتبوؤها داخل الجامعة الجزائرية، ويركز بصفة خاصة على ما يبذل من جهود لتحويل اللغة العربية التي هي اللغة الوطنية الرسمية إلى لغة تعليم وبحث وتأليف في المجالات العلمية والإنسانية جميعا، دون إهمال دور الأساتذة والإدارة ثقافيا، وأهمية علاقتهم باللغة العربية مع ربط هذا الواقع بالأسباب التاريخية والنفسية والثقافية، ومدى إيمان الأساتذة بمشروع محاولة جعل اللغة العربية رائدة وذات سيادة معرفية ومعنوية داخل الجامعة الجزائرية. وإنه لمن الواضح أن نجاح هذا المشروع له علاقة بالإمكانيات العلمية والمالية، وهو متأثر كذلك بالعوامل السياسية، والقرارات الرسمية، لكن لا بد من توكيد أهمية الجانب النفسي الثقافي الحضاري في تبلور الفكرة والإيمان بها، والسعي لتحقيقها في واقع الحياة الجامعية، خاصة بعد أن تتحوّل إلى رهان عام تلتّف حوله لكسبه كل الطاقات الإنسانية الحية: أساتذة وطلبة وإدارة وقرارا سياديا، فما هو رهان اللغة العربية في مجتمع المعرفة ؟ وكيف يمكن أن تغدو العربية أداة للمعرفة في ظل سوق اللغات، والصراع اللّغوي المحتدم؟

Article info

Received
31/03/2024
Accepted
01/05/2024

Keywords:
- ✓ *The Arabic Language,*
- ✓ *university,*
- ✓ *bet,*
- ✓ *current*
- ✓ *science teaching,*
- ✓ *knowledge society.*

Abstract :

This article tackles the reality of the Arabic language and its position in the Algerian university, with a special emphasis on the efforts made to turn the Arabic language, which is the official national language, into a language of teaching, research and writing in all the scientific and humanitarian fields. This is mainly done without neglecting the cultural role teachers and administrators have, the importance of their relationships with the Arabic language, and by connecting this reality to psychological, historical, and cultural factors in addition to the extent to which teachers believe in the endeavor of making the Arabic language a pioneering language with a knowledge and moral sovereignty. It is obvious that the project's success is directly related to scientific and financial capabilities, and is affected by political factors as well as formal decisions. However, we need to stress the importance of the psychological, cultural, and civilizational aspects in forming this idea, believing in it, and seeking to achieve it in the reality of university life, especially after its turn into a public bet around which all human energies: teachers, students, administration, and a sovereign decision rally to win. Hence, what is the bet of the Arabic language in the knowledge society? And how might the Arabic language become a learning tool in light of the language market and the ongoing linguistic conflict?

1.المقدمة:

يحاول هذا المقال رصد واقع اللغة العربية في مؤسسات التعليم العالي انطلاقا من توصيف الوضع الراهن الذي تعيشه العربية استعمالا، وتداولا، مع تقييم حالها، وما يمكن أن تكون عليه في المستقبل القريب، وتصور جملة التحديات التي يراهن عليها المشتغلون الفاعلون، لجعلها لغة متفاعلة مع محيطها، حاضرة حضورا حيويا في مجالات العلوم وتطبيقاتها؛ لأنها تمتلك – مثل كثير من اللغات – مقومات النجاح في أي حقل من حقول المعرفة والعمل، ومؤهلة لاستيعاب شتى المعارف، ومسايرة حركية التطور الحضاري المنشود الذي تسعى إليه اليوم كل أمّة من الأمم الحية؛ لاسيما في ظل نجاح لغات قومية كثيرة في التمكين للغاتها الرسمية، والاعتزاز بها والثقة في إمكانية كسب تحدي تحولها إلى لغة بحث وابتكار وإبداع في المعارف العلمية الأكثر تعقيدا، ومواكبة التحولات الحضارية والتكنولوجية الكبرى، وما يترتب عنها دائما من عمل دؤوب للتحكّم في كل مستجد.

ولتحقيق كل ذلك فقد تمّ التركيز على جوانب نظرية وأخرى ميدانية؛ لأن التناول النظري البحت تكمن أهميته في ما يقدّمه لنا من طاقة منظّمة للعمل البناء بطريقة عقلانية، لذا كان علينا أن نلتفت إلى المسار التاريخي الذي اهتمت فيه العرب بالعلوم ومصطلحاتها، والإشارة إلى المحاولات التي شهدتها الدول العربية الحديثة بعد استقلالها من الاستعمار ، في مجال التعليم والبحث والتعريب، وكل هذه النقط كان من الضروري جدا أن تتفرع إلى مجموعة من المباحث التي تصبّ في خدمة الغاية الكبرى التي رام المقال الوصول إليها: تحديد فكرة صحيحة عن واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية، ومؤسسات البحث ومناقشة إمكانياتنا الوطنية الكفيلة بتحقيق تعريب العلوم والأبحاث لما في ذلك من تأكيد لغاية التحرر التام، والاستقلال الحقيقي، والتمكّن من الدخول مجددا في حياة المدنية والحضارة؛ إذ لا يمكن لأيّ مجتمع أن ينجح في هذه الغايات إلا بذاته المكتملة .

2. تمهيد:

إنّ عددا كبيرا من اللغات التي أضحت اليوم نشطة في المجالات البحثية والتدريسية العالية تتطور يوما بعد يوم؛ بفضل ما تميزت به نخبة من أبنائها من إرادة ووعي وتنظيم وتخطيط، ويتعلق الأمر هنا بلغات حينما نبحث عنها على صفحات الإنجاز الحضاري قد لا نجد لها أي مكان، غير أنّ وجود الأمجاد التاريخية أو غيابها لم يعد هو المسألة المطروحة اليوم، فقد أصبحت أنظار العالم تتجه صوب الغد أكثر من اتجاهها صوب الأمس.

إن واقع اللغة العربية اليوم في جامعاتنا الجزائرية يحتاج إلى دراسة دقيقة تمكننا من معرفة مدى حضورها في مجالات البحث والتأليف والتأثير الثقافي الحضاري التكنولوجي خاصة وأننا نظريا نؤمن بأن اللغة العربية قادرة على شق طريق البحث في أعلى مستوياته، لكننا في الواقع العملي لا نعثر على استعمال كثيف لها في مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي، وحتى اللحظة فإن حركتها لا تكاد تتجاوز العلوم الإنسانية والآداب، وحتى في هذه التخصصات فإننا نلاحظ أن عددا كبيرا من المنتج المصطلحي يطغى عليه ما ابتكرته البحوث الواردة إلينا من اللغات الغربية.

فإذا كانت هذه هي حالة العربية في راهن الجامعة الجزائرية، فإننا من حيث المبدأ قد رفعنا شعار التعريب منذ سبعينيات القرن الماضي، وبالرغم من المجهودات المبذولة في تعريب الجامعة الجزائرية، والتمكين للغة العربية فيها – وهو ما لمسناه في تدريس عدد من

المواد باللغة العربية في شعب الحقوق، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والتربية البدنية على سبيل المثال- إلا أنّ كليات ومعاهد أخرى لما تعرف استعمالا للعربية في حصصها التربوية والبحثية.

تبذل حاليا جهود رسمية في المؤسسات داخل كل بلد عربي، وإسهامات فردية في مجال الترجمة ومحاولة التغلب على مشكلة المصطلح، وكل ذلك ليس جديدا في الحياة البحثية العربية ؛ فقد أنجز أحمد فارس الشدياق (1804-1887) جملة من الأعمال التي كانت ترمي إلى تطوير المعاجم العربية، كما وضع الأمير مصطفى الشهابي(1868-1893م) مصطلحات واضحة في ما نشره من أعمال خاصة في مجال علم النبات. كل تلك الحركة كان قد شهدها مطلع عصر النهضة الذي تميّز باهتمام عدد من المفكرين بمسألة المصطلحات، وساهموا في ترجمة بعض الأعمال الجادة الغربية دون أن يهملوا إحياء المصطلح التراثي، وحاولوا في الوقت نفسه توحيد الاصطلاح ونشره وإذاعته وابتكار عدد من المصطلحات، ومع تطور العمل انصب الاهتمام على تخزين الذخيرة المصطلحية، وحوسبة مشاريع التخزين المصطلحي خاصة وأنّ عددا من المؤتمرات قدمت كمّا من المصطلحات كان في حاجة ماسة إلى العناية به، كما أصبح التعريب غاية أساسية في كل تلك الجهود (**غريبي وبوشوشة،2017. ص: 159**). وهكذا تمكن هذا العمل المتواصل من تحقيق عدد من الإنجازات بالرغم من أهميتها إلا أنها أمام تسارع وتيرة الابتكارات في مناطق كثيرة من العالم، بدت جهلا ضئيلا.

ولقد استطاع هذا العمل بالرغم من كل شيء تجميع مئة وأربعين ألف مصطلح في حملة متواصلة، لتحصيل ذخيرة مصطلحية، مع مراعاة الأمور التالية:

1- تجميع المصطلحات في مختلف ميادين المعرفة

2- مواكبة المصطلحات الجديدة وتخزينها

3- تزويد المستعملين بالمصطلحات الجديدة

4- دعم دور مكتب تنسيق الجهود لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات العلمية الحديثة

4- تسجيل مصطلحات المعاجم الموحدة الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب

5- مصطلحات مشاريع المعاجم المعدة لتعرض على مؤتمر التعريب. (**غريبي وبوشوشة،2017. ص: 158**).

وبغض النظر عن بقاء الحرف اللاتيني في وثائق التواصل البيداغوجي والإداري المتحقق بمحاضر العلامات والتوجيه، وغير ذلك من الجوانب التي يمكن عدّها من بقايا الفترة الاستعمارية المعروفة، بما حدث فيها من نفي كليّ للغة العربية وأهلها والراغبين في تعلمها، ومن الطبيعي أن نجد الإطارات في الفترة التي أعقبت الاستعمار، ونلاحظ أن معظم القائمين على التعليم العالي أساتذة وإداريين لم يتخلصوا من هيمنة الفكرة التقليدية التي ترى الفرنسية لغة تنظيم وتسيير وإدارة ودقة وتحضر وثقافة...، وما من شك في أن الفرنسيين حققوا كل ذلك في لغتهم، غير أن هذا أمر يعنيهم ولا يعنينا، ولا يعنينا كذلك في هذا المقام أن نؤكد بأنّ اللغة الفرنسية سيّرت ما حولها من اللغات والثقافات التي تعاملت معها في الفترة الاستعمارية بذهنية التعالي والاستصغار والهيمنة، وكان كل ذلك جزءا من الهيمنة الفكرية السياسية إن لم يكن تأسيسا لتلك الهيمنة، وغرسا للذات الاستعمارية في الجسد المستعمر والإفريقي خاصة.. .

وكثيرا ما يثار التعريب بالتوازي مع موضوع استمرار الاستعمار لغة وثقافة وذهنية مع ربطه بشكل أساسي من أشكال الاستعمار الجديد، وما يلاحظ في العلاقات الدولية هو أن هذه الهيمنة الثقافية واللغوية جزء غير منفصل عن استعمار المصالح الوطنية التي صار المستلب من الجزائريين القائمين على شؤونها لا يرى من غضاضة في أن يكون الاقتصاد الوطني ذاته خادما للاقتصاد الفرنسي، بل قد لا يرى أي غضاضة في أن تكون تربة الشهداء في خدمة تجارب فرنسا غدا وبعد غد في الأمور الخطرة المتصلة بصحة الإنسان والتربة والماء والجو.

إن الحديث عن استمرار الهيمنة الثقافية التي تشكل فيها الهيمنة اللغوية جزءا هاما ما زال مطروحا في حياتنا الثقافية الوطنية، وعلينا أن نصوغ رؤية وطنية واعية تماما بحقيقة مكونات الذات الجزائرية التي بلورت الشخصية الوطنية داخل علاقات تاريخية عادية، يغلب عليها الطابع الإنساني الحواري الذي تمثله اللغة العربية أفضل تمثيل كونها ساهمت في تشكيل الذات الجزائرية من خلال الهجرات السلمية حتى قبل مرحلة انتشار العرب والمسلمين، وتوسع رقعة دول الخلافة الإسلامية التي رفعت راية الفتح ثم راية الثقافة العربية التي احتضنها الإنسان المغاربيّ ككلّ، وساهم في تطويرها عبر العصور في الدول المتعاقبة، وخاصة داخل الإنجاز الحضاري الأندلسي الذي أسهم مدة طويلة في تشكيل الذات المغاربيّة الإسلامية العربية، وفي جوانب من الذات الأوروبية والعالمية.

وبعيدا عن هذه النقط التي يطول فيها التفصيل والحوار ويتشعبان، فإن المشكلة المطروحة في مجال اللغة العربية ووجودها داخل المؤسسات العلمية متعلق في الأساس بمدى إيمان الإطار العربي ككل بلغة أمته، وليس بفكرة مؤامرة الثقافة الاستعمارية ضد الثقافة العربية والوطنية؛ لأن الصراع بين اللغات والثقافات والسياسات جزء من سنن الحياة، ومؤشر من مؤشرات التدافع الذي يحرك تاريخ الإنسانية جمعاء.

3. من الترجمة إلى تعريب العربية:

أصبح واقع اللغة العربية اليوم في أمس الحاجة إلى مراجعة عميقة للصيغ المستعملة في تعبيرنا العربي الفصيح نفسه؛ فبعد أن تمّ التغاضي عن الأخطاء الشائعة التي تسلّلت إلى لغتنا بدعوى حتميات الاستعمال السريع للسان العربي، غير أنّ الانحراف اللغوي العربي قد أضحى أكثر استفحالا حتّى في التعبير العادي الخالي من تعقيدات المعارف العلمية ومصطلحاته؛ ذلك أن المخالفة الصارخة لأسس التعبير العربي قد صارت ماثلة للعيان، وهو أمر ما زلنا إلى الآن لم نشعر بخطورته، ولعل توقفنا أمام عدد من الظواهر التعبيرية الشاذة يؤكد ذلك: فمن أمثلة ذلك أن المثنى الذي كاد يندثر من تعبيرنا العامي، أصبح مهددا بالزوال في تعبيرنا العربي الفصيح، ويمكن لأي قارئ أن يلاحظ أنّ كثيرا من القصائد والروايات والقصص قد استبدلت العيون بالعينين والأرجل بالرجلين والخدود بالخدين...والأمثلة كثيرة.

4. الترجمة والنقل والتعريب:

خضع وضع المصطلحات العلمية في اللغة العربية لخطوات منطقية واضحة؛ بدأت بالبحث في التراث العربية عما يعادل المصطلح الغربي، للوصول إلى اتفاق يضمن الانتشار والاستعمال، ومن المعلوم أن اللغة العربية تمتلك مخزونا ثريا جدا يمكنها من التغلب على كل التعقيدات التعبيرية. وكل ما هو مطلوب في عالم العلم والتكنولوجيا هو غرس المصطلح في تربة العربية وخصائصها

ومقاييسها وصيغها من مثنى واسم فاعل ومصدر واسم مفعول وجمع كثرة وجمع قلة وتصغير وما إليها من إمكانيات معاني التدرج الذي تعبر عنه العربية.

5. الاهتمام بعلم المصطلح:

علم المصطلح من أهم فروع مفهوم علم اللسانيات التطبيقية وأحدثها، يتناول بالبحث الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها (**غريني وبوشوشة،2017. ص: 159**). وهذا يبرز لنا أن تطور اللسانيات ساهم في النهوض بهذا العلم الذي فرضته الثورات العلمية والتجريبية التي ميزت خاصة القرن التاسع عشر.

وعرف كذلك هذا العلم، بأنه العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والألفاظ اللغوية. (**علي القاسمي، 1987.ص : 269**) ، وبذلك فإن المشتغل في حقل المصطلح مطالب بأن يلم بمعرفتين إحداهما لغوية والثانية علمية متصلة باختصاص معين.

ولقد اهتم الغربيون بعلم المصطلح وعملوا على توحيده بالعودة إلى كم كبير من الكلمات اللاتينية ويرى غوسّت Goster أن علم المصطلح أحد فروع المعرفة ومجال يوثق علم اللغة بالمنطق وعلم الوجود، وبعلم المعلومات وفروع مختلفة، وقد كان هذا في زمن اقتصر فيه علم اللغة على البحوث الأساسية في الأصوات وبنية الكلمة وبنية الجملة ليأخذ مكانه كونه أحد الفروع الهامة، أما عربيا فقد انصبت جهود الباحثين على التمييز بين كل من المصطلح المفضّل، والمصطلح المجاور، والمصطلح المستهجن، والمصطلح البديل، ويدلنا هذا التفصيل في أنواع المصطلحات على العناية الخاصة التي أولاها الباحثون الأوائل لعلم المصطلح، لكن من الصعوبات التي اعترضت سبيل التقدم في وضع المصطلح، الاعتقاد الخاطئ الذي يجعل الباحث في الاصطلاح يروم الإلمام على كل المعاني التي يحملها أي مصطلح في حين أننا يمكن الاكتفاء بدلالته على صفة واحدة (**حجازي 1993. ص ص:14-15**) ؛ وهذا الشرط التيسيري من شأنه أن يذلل كثيرا من الصعاب، من ذلك مثلا أن كلمة "سيارة" تشير بصيغة المبالغة إلى السير بالرغم من كونها في المصطلح الغربي تعني سيرها التلقائي بنفسها.

6. التعليم بغير العربية:

هل أضاف استخدام اللغة الأجنبية في تعليمنا لأمتنا أية إضافة تنموية على مدار أكثر من قرن؟ هل توجد أمة من الأمم ذات الصدارة العلمية (طبقا للمعايير العالمية) تستخدم لغة غير لغتها القومية في تعليم أبنائها؟

تشير دراسة حديثة عن أفضل خمسمائة جامعة في العالم إلى أن تلك الجامعات موجودة في خمس وثلاثين دولة يتراوح عدد سكانها بين ثلاثة ماليين وثمانمائة ألف نسمة، تدرس جميعها وتجرى بحوثها بلغاتها، وبين اثنين وسبعين ومائتين وألف مليونا القومية، ولا توجد جامعة عربية واحدة ضمن هذه المجموعة من الجامعات. وهنا نتذكر ما قاله ابن خلدون من أن المغلوب مولع بتقليد الغالب في كل أفعاله وطرائق حياته؟ وعسى ألا يغيب عن بالنا ما قاله مالك بن نبي من القابلية للاستعمار في مقال محمد عمارة: لقد أحيت إسرائيل لغة ميتة، لتصبح لغة علمية حية تدرس بها جميع العلوم، وكذلك تصنع الصين واليابان مع أصعب لغات الدنيا، لكننا للأسف تراجعنا فأصبحنا في كثير من جامعاتنا ندرس العلوم الطبيعية بغير لغة القرآن الكريم! مع أن تجارب تدريسها بالعربية أعطت نتائج كبيرة كما هو معلوم؛ فإلى متى هذا الهوان؟ ! تنص دساتير الدول العربية على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية؛ ومعنى

ذلك أن لغة التدريس – في جميع مراحل التعليم – يجب أن تكون العربية.إذا كان حافظ إبراهيم يقول معتزا بالعربية وعاتبا على العرب باسمها: (**محمد حافظ إبراهيم، 2010 ص ص: 136-137**)

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

فقد قال عدد من المفكرين في مشارق العالم العربي ومغاربه ذلك أيضا فيما تعلق بلغات أقوامهم؛ فهذا باسكال يقول:(إن وطني هو ، و"هيدجر" الألماني يقول: "إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقرّي، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه،)اللغة الفرنسية Leومن نوافذها وبعيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح). ويرى شاعر صقلية "أجنازيو بوتيتا"(**1899-1997**) الذي قال: (poesie di Ignazio Buttitta con traduzione in lingua italiana)

قيّد أي شعب في السلاسل

عرّه تماما

امنع عنه الكلام

لكن سيظل حرا.

***

احرمه وظيفته

وجواز سفره

والطاولة التي يضع طعامه عليها

والسرير الذي ينام فيه،

وسوف يظل غنيا.

***

أي شعب

يغدو فقيرا ومستعبدا

حين يسرق منه لسانه الذي ورثه عن آبائه:

سيضيع إلى الأبد.

إنّ هذا المقطع يحيل إلى أن كل أشكال الهيمنة يمكن تجاوزها، والتخلص منها أيضا، ولكن ماذا لو يضيع اللسان، حال الهوية والقيم التي يتربى عليها أي شعب أصيل، فحينما يقضي اللسان تضل الأمة عن سبيل غدها، ويصبح الوصول إلى القمم مستحيلا. حينما تموت اللغة لا تنتهي روح فرد واحد بل تمحي روح أمة بأسرها.

إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل، وتسد أفواهها، وتشرد من بيوتها، وتظل مع ذلك غنية، فالشعب يفتقر، ويستعبد عندما يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، وعندئذ يضيع إلى الأبد" ويؤكد رسول حمزاتوف في كتابه (داغستان بلادي): أنه يجب أن نحافظ على

لغتنا حفاظنا على تراب وطننا، كما أن القائد الفيتنامي "هوشي مينة" ينصح أبناء أمته قائلا:"حافظوا على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذار من أن تضعوا كلمة أجنبية في مكا ن بإمكانكم أن تضعوا فيه كلمة فيتنامية. (**محمود السيد. 2008. ص ص :301– 376**).

إن نجاح عدد من التجارب التي خاضتها لغات يمكن وصفها بأنها "لغات صبية"دون أن يعني ذلك أن أي انتقاص منها، يشجع رافعي لواء اللغة العربية ومشروعها الذي يريد منها أن تعود إلى مرحلة العطاء الإنساني العالمي ثقافيا وعلميا، ويمكن القول إن نجاح اللغة التركية مثلا وهي لغة غير بعيدة في كلماتها وروحها ومخيالها وفنها عن التراث العربي الإسلامي أفضل درس يمكن استخلاصه في أهمية المشروع الذي يريد الغيورين على اللغة العربية تحقيقه.، خاصة وأننا قد تخلصنا اليوم من عدة مفاهيم مغلوطة؛ منها تقسيم اللغات إلى شفوية غير عالمة ومكتوبة عالمة، وتقسيمها كذلك لغات علة ولغات أدب ولغات تواصل وقضاء الحاجة اليومية الطارئة إلى آخر تلك التوصيفات التي استقرت في بعض الأذهان وولدت كثيرا من اليأس في النفوس، ولا بدّ لنا من الوقوف أمام الظاهرة اللسانية المزدوجة التي نلاحظها في اللهجات المنتشرة في الشعوب ذات الثقافة العربية؛ فهي لهجات متنوعة في تشكيلاتها المعجمية إذ كل منطقة متاثرة بوجودها الجغرافي، لذلك فإن لهجات المشارقة مختلفة عن لهجات المغاربيين؛ بل إن لهجة الشرق الجزائري – مثلا – مختلفة – إن قليلا أو كثيرا – عن لهجة الغرب الجزائري.

إن تلك اللهجات التي تسهم في تيسير عدد من أوجه الحياة فهي في الوقت نفسه تسهم في شيء من تغريب أبناء الحضارة الواحدة عن بعضهم البعض، مما يدفع إلى ضرورة تقريب اللغة اليومية أو حتى لغة الأم بالتعليم والثقافة والحوار من اللغة العربية العتيقة التي هي في الأساس لغة القرآن الكريم والنصوص العربية الكبرى.

وتقدم بعض القراءات التي تحاول مسح الجغرافيا اللغوية العربية في البلاد العربية فكرة فضفاضة عن الاختلاف الكلي بين لغة الأم أو اللغة اليومية عن اللغة التي نتلقاها في مراحل التعليم **(Dominique CAUBET ; 1999 , p : 235-244)** وهذا غير دقيق، وإذا كانت الصراعات السياسية قد زرعت عددا من الخلافات، فإن كثيرا من الإنجازات الثقافية والفنية قد ساهمت في توحيد العواطف، ولمّ شمل المسلمين خاصة في الأوقات الصعبة التي صحبت سقوط الأوطان. (**سعد زغلول عبد الحميد.د/ت ، ص :253**)

يتطلب واقع اللغة العربية الآن في الجامعات الجزائرية جهودا إضافية لبلوغ الغاية الحقيقة الفعلية التي تسعى إليها الدولة الجزائرية لترقية العربية وازدهارها، قصد حضورها ووجودها ممارسة، واستخداما في نصوص القوانين وتحرير المراسلات، ومحتويات المواد، وبرامج الحاسوب، ومنصات الرقمنة، والإعلانات. وغيرها.

ثمة مَواطن تغيب فيها اللغة العربية، ووجب الإشارة إليها ليتمّ التمكين للغة العربية في مؤسسات التعليم العالي، ولعل أبرزها:

أولا– اللغة العربية وأصحابها: نظرة تقديسيّة انفعالية مع إيديولجية مثبّطة:

يرى أصحاب هذا التوجّه أنّ اللغة العربية منزّهة، ممجّدة، بل يقدّسونها تقديسا لا ينبغي تجاوزه، ويرون أنّها قد حققت إنجازا لن يتكرّر أبدا، رغم أنّه يمكن أن توضع هذه الرؤية في خانة الغيرة على العربية والدفاع عنها، خصوصا في ظل الصراع اللغوي

الذي نشهده كل يوم، ولكن هذا التوجه بالرغم من صدقه وحسن النية في منطلقه فهو يقلّص وجودها في واقعنا اللغوي، وقد يضللنا عن النقائص التي ينبغي العمل على إدراكها والتغلب عليها، وبذلك فهو – عن غير قصد – يحدّ من انخراطها في عالم يموج بالتحديات العلمية والمعرفية، والحقيقة أن التجديد واجب، والحاجة ملحة لابتكار لغة معاصرة تساير التطوير الحضاري المبني على نقد الذات التاريخية باستمرار.

في هذا السياق ينبغي النظر بموضوعية إلى قضية اللغة العربية في الجزائر في إطار التعامل معها بمرونة، وحيوية تضمن تحديثها وتطويرها، وعصرنتها، وتوهّجها، وبقاءها حيّة تنبض بالفاعلية والتوظيف والتواصل والحضور القوي الخلاّق.

ولقد بادر عدد من القدماء إلى تيسير اللغة العربية وقواعدها، مثلما نرى ذلك في كتابات ابن مضاء القرطبي (592هـ) الذي ناقش نظرية العامل، ورفضها، ففتح الباب للباحثين المعاصرين الذين كانوا يريدون تيسير النحو العربي، منطلقين من نزعة جديدة هي النزعة الوصفية التي ترفض إغراق دارس اللغة في الأمور المجردة التي هي أقرب إلى التأمل منها إلى المعرفة العملية، ويمكن لمتتبع هذه الخلافات أن يقف على الفرق الشاسع بين موضوعين أحدهما تقديم اللغة مثلما هي متوارثة دون تعليل واقع خارج اللغة في حدّ ذاتها، وثانيهما البحث في الأسرار والجوانب المجردة التي يعتقد أنها هي التي أوجدت الأمور الإعرابية من رفع ونصب وجر وجزم. (**يوسف تته، 2023.ص ص: 131–151**) غير أن طائفة من المعاصرين رأت في ما ذهب إليه ابن مضاء القرطبي بعيد عن التناول العلمي كما يرى ذلك حاج عبد الرحمن معلّلا ما ذهب إليه في رفض طرح ابن مضاء أن القرطبي كان الوحيد في هذا التوجه، ومن الطبيعي جدا ألا يكون انفراده بالرأي ابتعادا عن المنطق والعلم والصواب، غير أن حاج عبد الرحمن يورد حججا أخرى لا يسمح المقام بالتفصيل فيها. (**عبد الرحمن الحاج صالح. 2007، ص: 29**) غير أن ما يهمنا هنا هو أن مراجعة النحو القديم دفعت إلى إنتاج عدد كبير من الدراسات التي ركزت على تيسير اللغة العربية للعرب والناطقين بها وللأجانب الذين يريدون معرفتها.

وعليه يمكن تأكيد عامل صناعة الوعي بضرورة انخراط العربية في مجتمع المعرفة، والكف عن تقديس اللغة العربية كما تقدس الأشياء الغالية النادرة في المتاحف، وما ينجم عنه من مخاطر في ظل الهيمنة اللغوية، والعولمة النازفة، وغيرها من التحديات والمستجدات اللغوية المتسارعة.

تقع هذه الرهانات على عاتق الأساتذة بمختلف تخصصاتهم ولغاتهم التي تعلموا بها ويعلمون بها، وعلى اللسانيين خاصة المطالبين بتنويع الأفكار، والبحوث اللغوية، وإنشاء ورشات منتظمة وفق مراحل لبعث اللغة العربية المعاصرة، وتفعيل أدواتها ومحتواها الجديد.

ثانيا: في مجال حوسبة العربية، والاستثمار فيها:

ما تزال جامعات وطنية كثيرة تدوّن قوائم الطلبة، وكشوف النقاط والعلامات، باللغة الفرنسية، لعدم الاجتهاد في استخدام برامج حوسبيّة تدعّم اللغة العربية، وحجّة من أحجم عن ذلك هي عدم توفر برنامج بالعربية. والأمر ذاته ينطبق على كشوف رواتب الأساتذة في الإدارة، والوثائق التي تقدّمها المصالح المالية للمراقب الماليّ، والمخططات التي تشتغل عليها نيابة رئاسة الجامعة

للاستشراف. ويمكن التنويه والإشادة بأنّ المراسلات بين الوزارة والجامعات أصبحت مؤخرا تتم باللغة العربية، وهي إرادة واضحة من السلطات العليا في التمكين للغة العربية.

ثالثا: في مجال التخاطب في الاجتماعات واللقاءات الرسمية :

سجلنا من خلال حضورنا في اجتماعات عديدة استعمال لغة هجينة، لا هي عربية ولا هي فرنسية، ولا عامية، مما يدل دلالة واضحة على وجود أزمة لغوية داخل الجامعة، ثم إن هناك من ذوي المناصب العلمية والإدارية من يتحدث بالفرنسية فقط، وهذا مناقض لمفهوم السيادة، وينبغي أن ينص قانون الجامعة الداخلي على هذه النقطة، وللأسف فإن القليل من الأساتذة يتحدث بالعربية القريبة من الفصحى، كل بحسب اجتهاده وإيمانه بهذه الفكرة الوطنية الاستقلالية، كما أن مستوى لغة الأساتذة في العربية متصل بالمستوى التعلميّ والإرادة والوعي، وبغض النظر عن كل ذلك فإن العامية المهذبة النابعة من تحسن مستوى العربية مطلوبة؛ لأن وجودها يعكس وعينا بهويتنا الوطنية واستقلالنا الحقيقي،

وفي هذا المقام وجب تأكيد ضرورة ضبط قانون داخلي يمنع صراحة استعمال غير اللغة العربية بمفهومها الواسع الذي يشمل العامية عامية الأستاذ الجامعي المطعّمة بالفصحى والمصطلح وتشكيل اللغة الأسمى من اللغة الشفوية العادية، وعلينا عموما أن نعي أهمية الحديث باللغة الثالثة المشكلة من العامية والفصحى والمصطلحات، والغاية من هذه اللغة الثالثة هي هزم هيمنة اللسان الأجنبي في مرحلة أولى، ثم كسب التحدي الوطني الذي يمكن وضع شعار له هو: بلساني الجزائري الأصيل المشكل بثقافة شعبي، ولسانه أتواصل في محيطي الجامعي وفي كل مكان، غير أن لغة المسؤول في خطابه ومراسلاته لا بدّ أن تنضبط بما تنصّ عليه قوانين الجمهورية ومراسيمها، على أنّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية في التعاملات الكتابية.

وللقضاء على هذا الواقع المأزوم يمكن تنظيم ورشات تكوينية دورية تحسينا لأداء الزملاء اللغوي، وتدريبهم على استخدام اللغة العربية بطلاقة مع التحكم خاصة في الجانب الاصطلاحي؛ إذ إن التحكم في المصطلح هو أساس تعريب العلوم.

رابعا: في مجال التدريس بالعربية في ميادين العلوم والتكنولوجية:

إنّ الوضع الماثل أمامنا في الوسط الجامعي، تواصلا، وتدريسا يبيّن أنّ اللغة العامية هي المهيمنة على اللغة الفصحى، في مستوى التدريس، ولدى الفعاليات البحثية والأكاديمية. كما لاحظنا حضورا مكثّفا للغة الفرنسية وسيطرتها التامة، في تعليم طلابنا، في تخصصات العلوم والتكنولوجيا، والبيطرة، والطب، وغيرها من العلوم التقنية؛ الأمر الذي أدى إلى تفوّق الطلبة الذين تكوّنوا جيدا باللغة الفرنسية في المراحل الأولى من التعليم (الابتدائي، والمتوسط، والثانوي)، وهو ناتج عن تأثير مستوى الأسر التعليمي من ذوي الثقافة "الفرنكوفونية"، وهو واقع يجب تغييره بتعريب العلوم، ونقلها إلى اللغة العربية؛ وفق مشروع مؤسسّاتي منظّم عبر مراحل مدروسة بعناية وإتقان، نستند فيه إلى مقاربة نفعية واقعية، نعبُر من خلالها إلى الفعل الحقيقي لصناعة مجتمع المعرفة القادر على تلبية حاجاته بلغته هو لا بلغة الآخرين، والتخلص من المقولات الانفعالية ذات البعد الوجداني، والأيديولوجي المتعلق بالدين والقومية.

وإذ نقوم بذلك فنحن في حقيقة الأمر نواصل خطوات باحثين سابقين حاولوا في مجال وضع المصطلح وفقا لعدد من الشروط التي تحقق أصالته وصحته ونجاعته وانتشاره، وأمكن إجمال هذه الشروط في أربعة هي: المحافظة على النظام الاشتقاقي، والوضوح، والاقتصاد والتمييز، والشيوع والتداول. (**عمار ساسي. 2009 : ص 112.**)

ففي هذا الجو العام تحركت الجامعة الجزائرية وحاولت تحقيق الغاية بتسطير برامج واعدة في عدد من التخصصات، مع العناية الخاصة بأهمية ترجمة المؤلفات الجامعية في مختلف التخصصات العلمية، لتكون المادة الدراسية الجامعية محفوظة.

وهنا وجدنا أنفسنا مطالبين ليس بنقل كلام من لغة إلى أخرى مثلما يقضي بذلك مفهوم الترجمة الذي يركز على إيصال الفكرة، أو تبليغها، أو تحويل التبليغ إلى لغة أخرى، وإعطائه شكلًا مكتوبًا، أو مسموعًا، أو وضع صيغة مطابقة لصيغة في لغة النقل (**مراحل النقل والترجمة، 2024**) (وهنا نجد أنفسنا مطالبين كذلك بمراعاة التفصيل الذي هو لب النشاط الترجمي) ، لكن المشكلة الحقيقية هي الوقوع في الصيغ الغريبة عن الصيغ العربية ومن هنا نجد أنفسنا مطالبين بما يمكن تسميته بتعريب العربية.

خامسا: اتخاذ اللغات الأجنبية (الفرنسية والانجليزية) بديلا للغة العربية

تكرّس المقررات الجامعية في الشعب العلمية والتقنية حيزا من الوقت لتدريس اللغات الأجنبية، قصد استثماره في فهم لغة تدريس العلوم واستيعابها في السنوات اللاحقة للتعليم الجامعي، وهو أمر أيضا دفع الطلبة للبحث عن دروس خصوصية لتقوية ألسنتهم في اللغات الأجنبية، وتنمية مهاراتهم المعرفية، ورغم أنّ تعلّم اللغات ظاهرة صحية ومعرفية مستحبة إلاّ أنها مؤشر يجعل من اللغة العربية غريبة في بيتها، وتتراجع نسب التعامل بها أكاديميا واجتماعيا. وهو واقع مرير استنتجناه من محادثات ولقاءات مع عدد من الطلاب والأساتذة للأسف الشديد، وهذا يعني أنه لا بدّ من إتقان كثير من اللغات الأجنبية، ولا بد كذلك من إضافة لغات أخرى كالألمانية للتحكم في الفلسفة والروسية لمعرفة لغة تكنولوجيا السلاح والصينية لمعرفة كل شيء والعبرية لمعرفة طبيعة الزفت الذي في قلب الصهيوني... فمعرفة اللغة الأجنبية ضرورية للتمكن من استثمار المراجع الأجنبية، وتحويل ثروتها الغربية إلى ثروة جزائرية وعربية؛ ففي مجال تدريس العلوم، فإن علينا أن نميّز بين عناصر كثيرة؛ أولا عنصر اللغة ثانيا عنصر العلم وثالثا عنصر التعليم أي عناصر العملية التي يتمّ بها توصيل المعارف المتصلة بعلم من العلوم التي يود الأستاذ تقديمها، وهذا يتطلب تحكم الأستاذ في ثلاث مسائل: المادة العلمية التي يدرسها

– . اللغة التي يستخدمها في توصيل مادته العلمية

– التقنيات التعليمية الضرورية لتبليغ المعلومات، وهو أمر متصل اتصالا مباشرا بمدى تحكّم الأستاذ في استعمال الوسائل التكنولوجية الاتصالية الحديثة. (**عبد المجيد سالمي. 2013، ص ص : 9-15**)

والأمر الذي يهمنا هنا هو اللغة المستخدمة في تبليغ العلوم، ومستواها ومدى صحتها وقربها من لغة الاصطلاح والدقة التي تؤهلها لأن تكون قادرة أكثر من غيرها على تحقيق الصلة بين الطالب والعلم. وهنا في هذه النقطة فإن اللسانيين يشيرون إلى أن التمييز بين اللغات في هذا الأداء متاح أمام جميع اللغات، والجوهري في هذه المسألة هو الإرادة الثقافية المؤمنة بمجد الأمة والوطن والتشبث بخصائص الذات الأصيلة، والجد في التحصيل من لغات العالم بالترجمة والتأليف، وهذا يؤكد أن وظائف التبليغ و

التخاطب والتعبير وحدها غير كافية، ولا بد من وجود ذلك الحافز الثقافي النابع من وعي وإيمان بمشروع وطني وقومي وإنساني معين تتكاتف فيه كل القُوى لتحقيقه في شتى التخصصات من حضارة وتاريخ وعلوم طبيعية وعمران وهندسة وطب غيرها .

7.خاتمة:

وبعد فإن موضوع تدريس العلوم الحديثة في جامعاتنا الجزائرية مثلما رأينا ليس مشكلة طائفة من المتخصصين، إنما هو مشروع وطن متصل بأوطان عربية أخرى من المفترض أن تكون مسكونة به أيضا، ولسنا في ذلك من المبتدعين؛ فقد طمحت أمم قبلنا إلى ذلك واستطاعت الالتفاف حول مشروعها اللغوي ونجحت فيه وهذا يعني أننا لسنا بصدد الحديث عن مشروع مثالي أو حلم بعيد المنال.

ولا بد من توكيد أمر؛ هو أن المسؤولية الأولى تقع على عاتق التعليم العالي وإطاراته ومؤسساته ومسؤوليه الذين هم مطالبون بتقديم مشروع دقيق واعد يحظى باهتمام القرار الرسمي على أساس كونه مطلبا جوهريا متصلا اتصالا مباشرا بعملية التحرر والتنمية والتحدي العالمي.

ولا بد من توكيد أمر؛ هو أن أكبر عقبة تقف دون تطور مشروع التعريب هو بقايا الاستلاب الذي ما زال معششا في إطارات عليا قد لا تؤمن بأن المجد الثقافي هو العربية التي تجر كل ألوان المجد بما في ذلك التطور الاجتماعي والاقتصادي.بالرغم من القرارات المتوفرة، الواضحة، وموجود كذلك عدد من الفاعلين النشطين في القطاع البحثي والتدريسي مستعدون للعمل ليل نهار تحقيقا للمشروع.، وإنجازا لتعميم استعمال اللغة العربية في شتى العلوم والمجالات التكنولوجية؛ لبناء مجتمع المعرفة الذي نتوق إليه جميعا.

مما سبق يمكن أن نبدأ بعدد من النقط التي تبدو أساسية في تحقيق علامات هادية في الطريق نحو هذا المشروع الوطني انطلاقا من هذه الوضعية التي يعيشها قطاع التعليم العالي، ويمكن تقديم توصيات بمقدورها تفعيل أداء اللغة العربية، وتجسيدها ميدانيا كما يلي:

- التزام الأساتذة والطلبة والإداريين بالحرص على تغليب اللغة العربية في اللقاءات الرسمية، وترغيب الطلبة في استعمال العربية في حياتهم ككلّ،
- على الأساتذة والإداريين أن يعوا واجبهم الذي يحدده القانون في الاجتماعات الرسمية، إذ لم يعد يجهل أحد ربما أنه يمنع استعمال أي لغة أجنبية احتراما للدستور، كما يفرض القانون كتابة التقارير باللغة العربية داخل المؤسسة الجزائرية، وفي تعاملاتها اليومية .
- ضرورة تدريس مادة اللغة العربية في مختلف تخصصات الجامعة، وخصوصا في ميدان العلوم والتكنولوجيا تمكينا للأساتذة من تعريب ما يحصلونه من علوم
- تعزيز الدورات والورشات التكوينية تيسيرا لتعلم اللغة العربية، واستخدامها في ميدان الدراسة والتدريس.
- تشكيل هيئة من كبار أساتذة اللغة العربية لوضع خطة رائية واضحة لترقية اللغة العربية والتمكين لها في الجامعة.
- حثّ الأساتذة على تقديم دروسهم بالغة العربية الميسّرة للمادة، وتجنب استعمال اللغات الأجنبية، وعدم اللجوء إلى العامية إلا عند الضرورة الفنية والتواصلية.

- تنسيق العمل مع الجامعات العربية لتبادل الخبرات في مجالات الترجمة والتعريب.

. قائمة المراجع

- **المؤلفات:**
- علي القاسمي، (1987)، مقدمة في علم المصطلح، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2.
- – محمود فهمي حجازي (1993) .الأسس اللغوية لعلم المصطلح، بيروت، مكتبة غريب .
- محمد حافظ إبراهيم. (2010)المؤلفات الكاملة: الديوان، ، المملكة المتحدة. مؤسسة هنداوي.
- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام الدولة الفاطمية، الإسكندرية، دار المعارف .
- عبد الرحمن الحاج صالح(2007) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، ج1
- عمار ساسي، (2009)، المصطلح في اللسان العربي،. عمّان ، عالم الكتب الحديث.
- **المقالات:**
- محمود السيد ،(2008)التمكين للغة العربية: آفاق وحلول، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد 83 ، الجزء 2
- عبد المجيد سالمي. (2013). إشكالية اللغة في تدريس العلوم، مجلة الأثر،عدد 17- جانفي
- يوسف تته،(2023) موقف اللسانيين المحدثين من قضايا التراث اللغوي العربي، مجلة النص، ج9-عدد2،
- "صالح غريبي" و"إيمان بوشوشة"،(2017) المجهودات العربية المبذولة في مجال المصطلح، حوليات جامعة بشار، المجلد 17، العدد 17.

. Dominique CAUBET, Arabe Maghrebin : passage à l'ecrit et institutitions, Faits de langues, annee 1999, 13, pp 235-244, fait partie d'un numero thematique :oral-écrit, formes et théories.

- **مواقع الانترنت:** :

[1] –Le poesie di Ignazio Buttitta con traduzione in lingua italiana

- 3-علي بن إبراهيم النملة، مراحل النقل والترجمة، ينظر على "ش.ع" : شبكة الألوكة: الرابط التالي

https://www.goccediperle.it/terra-di-sicilia/le-poesie-di-ignazio-buttitta/

. https://www.alukah.net/literature_language/0/115801 2024-03-29 : تصفح

*عبد القادر قرماط